Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سهلة ها هنا، ففي الوقت الذي يضيق الحيّز المكاني على الروائي، ينبغي عليه أن يهتم بأعماق النفس ودخائل الذوات. وقد نجح منيف في تصوير الخارج والداخل من خلال معادلة كانت أطرافها متعددة ومتشابكة.

فهو أولاً يصوّر حال الجلاّدين والمجرمين وصنوف تعذيبهم لضحاياهم، وإذلالهم لسجانهم، كي يعترفوا بما يظنونه حقيقة واقعة خارج السجن، أو يريدون أن يروه حقيقة واقعة... ويستعير الكاتب لغة الجلادين الملأى بالشتائم والسباب والألفاظ السوقية البذيئة، وذلك بدءا من مدير السجن ومروراً بالمساعد والعريف والمجند. كما يصور حال المساجين في الزنازين والمهاجع، ويتحدث عن طعامهم، واحساسهم بالزمن، وعن صمودهم وانهيارهم، وعن آلامهم وأحلامهم، وعن روحهم المعنوية العالية أو الهابطة، فثمن من يرفض الاعتراف، ببسالة لا نظير لها، رغم التعذيب والألم الفظيع، ومن ينهار ويعترف.... وقد انهار (رجب إسماعيل) في ((شرق المتوسط)) وصمد (طالع العريفي) و (عادل الخالدي) في ((الآن... هنا)) وهناك من قبلَ أن يجنده النظام لصالحه، مثل (رضوان فرج) في ((الآن....هنا))، وهناك من قتله الجلاّدون بشكل مباشر أو غير مباشر، وممّن قتلهم الجلادون مباشرة (هلال المعتوق) في ((الآن.... هنا)) إذ أطلق المساعد على صدغه رصاصتين وراح يعدو كمجنون.. ومثل (الحاج مصطفى) و (حامد زيدان) و (صادق الداوودي). في ((الآن...هنا)). وكذلك قتل مدير السجن (مدحت عثمان). أما (رجب اسماعيل) فقد قتل على نحو غير مباشر، إذ بعد أن أفرج عنه ليعالج مع تعهُّد بالعودة إلى الوطن، وبعد أن احتجز صهره نيابة عنه، عاد ليسجن من جديد، ويعذب من جديد، حتى إذا أطلق سراحه للمرة الثانية، وقد تلاشت قواه، وتحطمت حواسه، وانهار جسده، عاش أربعة أيام، ثم مات في يوم الأربعاء المشؤوم...

وقد صوّر لنا منيف معارك جدّية بين السجين وجلاّده، وصوّر محاولات الفرار من السجن، ونجاح بعضها وإخفاق بعضها الآخر، وأدار حوارات ماتعة وساخرة وحارة بين الضحايا والجلادين، وبين المحقق والمعتقل، وبين السجناء أنفسهم، كما لاحق السجين الطليق إلى مشفاه. وكأن يختار المشفى خارج الوطن، ويجعله متراسا للسرد، وكأني به يرى أن من ينظر إلى الأمور عن بعد، تكون رؤيته أكثر صفاء وأعمق بصراً وأوسع إحاطة... أو كأني به يريد الإيحاء بأن حرية القول، كحرية الحركة، محظورة في بلدان المعتقلات السياسية.